الباب التاسع والخمسون

في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِين . أَئِذا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُون . قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ. فاطّلَعَ فَرَآه في سَوَاءِ الجَحِيم. قالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ. وَلَولاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِين ﴾ [الصافات : ٥٠ ٥٧] ، أخبر سبحانه وتعالى : أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضاً، عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ويقول ما حكاه الله عنه، يقول : ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ المصَدِّقِينَ ﴾ بأنا نُبعث ونُجازَى بأعمالنا، ونُحاسب بها بعد أن مزَّقنا البِلى ، وكُنَّا تراباً وعظاماً ، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطّلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه .

هذا أظهر الأقوال، وفيها قولان آخران :

أحدهما : أنّ الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ ؟ رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني : أنه من قول الله عزّ وجلّ [لأهل الجنة]يقول لهم : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُون ﴾ ؟ والصحيح القول الأول . وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن قرينه.

قال كعب: بينَ الجنّة والنار كُوىً، فإذا أرادَ المؤمنُ أنْ ينظرَ إلى عدوٍّ كانَ لهُ في الدُّنيا اطَّلَعَ من بعض تلك الكُوى.

وقوله: فاطَّلع، أي أشرف. قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾؟ قالوا له: إنك أعرف به منا، فاطَّلعْ أنت، فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أنَّ الله عرَّفه إياه لما عَرَفه، لقد تغيّر لونه ووجهه وغيَّرهُ العذاب أشدّ تغيير، فعندها قال: ﴿ تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُردِين، ولَوْلاَ نِعْمَةُ ربِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحضَرِينَ ﴾ أي كدتَ لتهلكني، ولولا أنْ أنعم الله عليَّ بنعمهِ لكنتُ من المحضرينَ مَعَك في العذاب.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قالوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ في أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيم ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

وقال الطبراني: حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا المسيب بن شريك، عن بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: سئل رسولُ الله ﷺ: أيتزاورُ أهلُ الجنة؟ قال: «يَزُورُ الأعلى الأسفل، ولا يزورُ الأسفلُ الأعلى، إلاَّ الذين يتحابون في اللَّهِ [عز وجل] يأتونَ منها حيثُ شاؤوا على النُّوقِ محتقبينَ الحشايا»(١).

وقال الدَّوْرَقي: حدثنا أبو سلمة التَّبُوذكي، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حُميد بن هلال قال: بلغنا أنّ أهلَ الجنةِ يزورُ الأعلى الأسفل، ولا يزورُ الأسفلُ الأعلى. وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد، عن يحيى بن إسحاق، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة(٢).

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدوس، حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا جابر بن نوح، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٦) بهذا السند وبألفاظ متقاربة، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٢٧٩ وقال: فيه بشر بن نمير متروك. والطبراني (٧٩٥٦) بلفظه من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٢) تقدم ص ٣٢٩ ت (٤).

يرفعه : « إنَّ أهلَ الجنة يتزاورون على النجائب » وقد تقدم[1] ، فأهل الجنة فيها يتزاورون، ويستزيرُ بعضهم بعضاً، وبذلك تَتِمُّ لذّتُهم وسرورهم .

ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله: «كيف أصبحت يا حارثة» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: «إن لكلِّ حقٍّ حقيقة فما حقيقةُ إيمانك»؟ قال: عَزَفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلى عرشِ ربي بارزاً، وإلى [أهل] الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذَّبون فيها، فقال: «عبدٌ نوّر الله قلبَهُ»[2].

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبدالله ، حدثني سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيشتاقُ الإخوانُ بعضُهم إلى بعض، فيسير سريرُ هذا إلى سريرِ هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعاً ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : يوم كُنَّا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا »[3] . قال : وحدثنا حمزة بن العباس، أنبأنا عبدالله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا إسماعيل بن عياش، قال : حدثني ثعلبة بن مسلم، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شفي بن ماتِع أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ مِنْ نعيمِ أهلِ الجنةِ أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يُؤتَون في الجنة بخيل مُسرجة مُلجمة ، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتّى ينتهوا حيث شاء الله عزّ وجلّ ، فيأتيهم مثل السحابة، فيها ما لا

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠٩) وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٠) وتقدم نحوه ص ٣٣١ ت (٤). وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البزار من حديث أنس (٣٢) في الإيمان : باب حقيقة الإيمان وكماله. وفيه يوسف بن عطية : لا يحتج به، والطبراني في « الكبير » . (٣٣٦٧) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري، وفي سنده ابن لهيعة، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١/٥٧.

(٣) أخرجه البزار (٣٥٥٣) من طريق سلمة بن شبيب وقال : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤٢١ وقال: رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح وهو ضعيفان وقد وثقا، والسيوطي في «الدر» ٦/١١٩.

عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون : أمطري علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية ، فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم، وفي معارفها وفي رؤوسها، ولكل رجل منهم جُمَّة على ما اشتهت نفسه، فيتعلّقُ ذلك المسكُ في تلك الجمامِ ، وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك : يا عبد الله أما لك فينا حاجةٌ ؟ فيقول : ما أنتِ ومن أنتِ ؟ فتقول : أنا زوجك وحبك، فيقول : ما كنتُ علمتُ بمكانِك . فتقول المرأة : أو ما تعلم أن الله قال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] فيقول : بلى وربِّي، فلعلّه يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا يلتفتُ ، ولا يعود ما يشغله عنها إلاَّ ما هو فيه من النعيم والكرامةِ »[1] .

حدثني حمزة، أنبأنا عبدالله بن عثمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا رشدين ابن سعد، قال: حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال : إنَّ أهلَ الجنةِ ليتزاورونَ عَلى العِيسِ الجون، عليها رحالُ الميس، تثير مناسمها غبار المسك، خِطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها[2] .

وذكر ابن أبي الدنيا : من حديث أبي اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه سألَ جبريلَ عن هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] . قال : هم الشهداء يبعثهم الله متقلِّدينَ أسيافهم حول عَرْشه، فأتاهم ملائكة من المحشر

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « زوائد الزهد » (٢٣٩) .

(٢) العيس الجون: الإبل البيض، الرحال جمع رحل: وهو إكاف الجمل ويصنع من الخشب ، الميس : جنس أشجار حرجية، في الأصل : سنامها بدل مناسمها، والمنسم : خفُّ البعير وهو الصواب، الخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به. الزمام : الخيط الذي يشد به البعير .

بنجائب من ياقوت، أزِمَّتها الدرُّ الأبيض، برحالِ الذهبِ أعنتها السندس والإستبرق، ونمارقها ألينُ من الحرير، مدُّ خطاها مدّ أبصار الرجال، يسيرون في الجنة على خيول، يقولون عند طول النزهة : انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي [الله] بين خلقه، يضحك الله إليهم، وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »[1] .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا الفضل بن جعفر، حدثنا جعفر بن حسن، حدثنا أبي، عن الحسن بن علي، عن عليّ [قال] : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ في الجنة لشجرةً يخرجُ من أعلاها حللٌ، ومن أسفلها خيلٌ من ذهبٍ مُسرجةٍ ملجمة من دُرٍّ وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحةٌ خطوها مدُّ بصرها، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ، فيقول الَّذِين أسفلَ منهم درجة : يا ربِّ بِمَ بلغ عبادُك هذه الكرامة كلّها ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلّون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا يُنفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون »[2] .

فصل

ولهم زيارةٌ أخرى أعلى من هذه وأجلُّ، وذلك حين يزورونَ ربَّهم تبارك وتعالى ، فيريهم وجهَه، ويسمعهم كلامَه، ويحلُّ عليهم رضوانه .

وسيمرُّ بك ذكر هذه الزيارة عن قريب، إن شاء الله تعالى .

---

(١) أورده في « الدر المنثور » ٥/٣٣٦ ونسبه إلى أبي يعلى، والدارقطني في « الأفراد » ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في « البعث والنشور » .

(٢) أورده في « كنز العمال » (٤٣٤٦١) ونسبه إلى أبي الشيخ في « العظمة » ، وله شاهد عند الخطيب ٥/١٣٦ ـ ١٣٧ من حديث أبي سعيد .